رابطة العالم الإسلامي
الأمانة العامة
الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

المسلمون والتقنية الإعلامية

بين الإعلام التقليدي والإعلام الجديد

إعداد

الدكتور علي محمد شمو

رئيس المجلس القومي للصحافة والإعلام في السودان

مقدم إلى

مؤتمر مكة المكرمة الحادي عشر

التحديات الإعلامية في عصر العولمة

الذي تنظمه رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

٥ - ٧ / ذو الحجة / ١٤٣١ هـ

١١ - ١٣ / نوفمبر / ٢٠١٠م

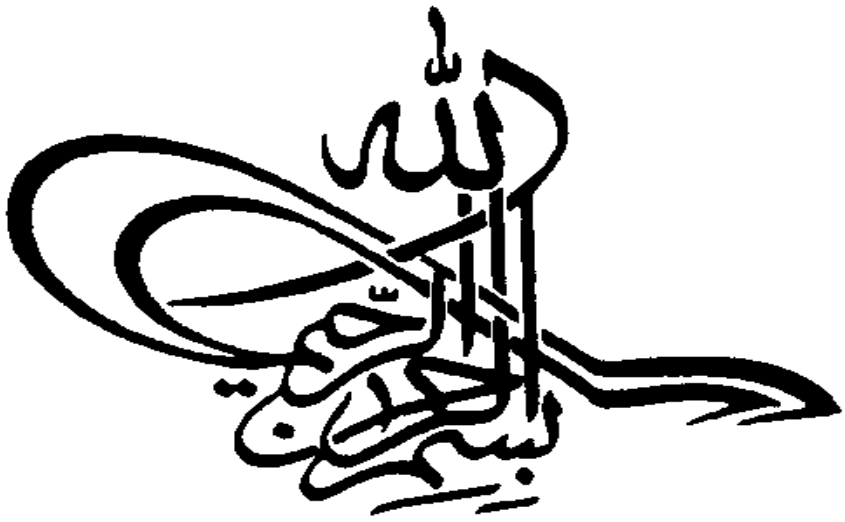
بسم الله الرحمن الرحيم

مفهوم التقنية :

كلمة التقنية TECHNOLOGY من أكثر الكلمات ذيوعاً وتداولاً في العصر الحديث ، بل إن البعض يذهب إلى أن أهم ما يميز هذا العصر عن غيره من القرون التي سبقت ؛ هو التقنية التي أصبحت الحاكم والمسيطر على كل ما يحدث في الكون من أنشطة تشمل كل قطاعات المجتمع البشري - السياسية منها والاقتصادية والثقافية والعلمية وغيرها - مما يتعذر حصْرُه وما يستجد في المستقبل القريب والبعيد ، وبخاصة أن التقنية نفسها ولّدت لدى الإنسان الإحساس بعدم الاستقرار بالتوقُعات والمفاجآت التي قد لا تخطر علي بال المُحْدَثين والمعاصرين .

كل شيء يقوم الآن علي التقنية المجردة وبمفهومها العام ، فهي على الرغم مما تتميز به من خصائص علمية، فإنها كمنتَج أصبحت هي القوة الحاكمة والمسيطرة والقابضة على زمام الأسواق المالية وعلى الاقتصاد ، وبخاصة تقنية المعلومات والاتصالات I T C .

فالناظر والمشاهد لحركة الأسواق المالية في وسائل الإعلام وأنظمة المعلومات؛ يقف على مدى إسهام أوراق الصناعة والتجارة في المعلومات، وسيطرتها على حركة السوق صعوداً وهبوطاً، ويدرك تماماً أن نسبة استثمارات ومنتجات التقنية في التجارة والصناعة يزيد علي ٧٥% من حركة الاقتصاد العالمي، الأمر الذي جعل استخدام مصطلح الاقتصاد المعرفي الذي يقوم علي المعلومات ثم المعرفة ؛ أمراً مقبولاً ومناسباً .

التقنية عبر التاريخ البشري :

يعتقد كثير من الناس أن التقنية أمر مستحدث جديد ، وأنه وليد للتطور الذي حدث في النصف الثاني من القرن العشرين ، وأن إرهاصاته ومقوماته بدأت في منتصف الأربعينيات عندما نشر آرثر كلارك مقالته المشهورة عام ١٩٤٥ في مجلة الاتصالات "العالم اللاسلكي" WIRELESS WORLD ؛ توقّع فيها إمكانية ارتياد الفضاء الخارجي ، ولم يمض على نشر هذا المقال سوى سنتين حتى تمكن العالم الفذ WILLIAM STOCKLY عام ١٩٤٧ من خلال أبحاثه في معامل شركة BELL للتلفونات ؛ من اختراع الترانزيستور الذي اعتبره العلماء في ذلك الزمان أفضل اختراع حدث في القرن العشرين[١] لأنه مكَّن العلماء والتقنيين والمهندسين من الشروع في تصميم وإنتاج معدات وأدوات جديدة ؛ تتَّسم بالدقة وصِغر الحجم وخفة الوزن وسهولة الحركة ، ولولا هذا المنتَج العلمي الفريد ؛ لما استطاع الإنسان أن يغير هذا الكون ، وينتقل به إلى مرحلة جديدة أو عالم جديد ؛ إذ بهذا الانجاز العظيم ؛ بدأت أُولى الطلائع التقنية التي قادتنا إلى هذه الدنيا التي نعيش فيها اليوم.

وقد كان الحاسوب هو العامل الرئيس في التغيير ، بل وهو اللاعب الأساس الذي قام عليه صرح المعرفة والتغيير، ومنه انبثق كل ما يجري ويدور في مجتمع المعلومات والمعرفة .

---

(١) انظر: أقمار الاتصالات – لاري بلونستين و JAMES WOOD/ COMM SATELLITE AND DBS SYSTEMS –JOCAL PRESS

هي قديمة قِدم الإنسان :

لكل ما سبق ؛ فإن كلمة التقنية التي ذاعت وانتشرت في هذا العصر، أوحت للناس بأنها تعبير عن موقف لم يكن معروفاً من قبل، وأن الإنسان عبر المجتمعات والعصور التي سبقت مجتمع المعلومات أو مجتمع المعرفة - والتي اشتُهرت بعصور الرعي والزراعة والصناعة- لم تكن على دراية بالتقنية ، ولم يتعامل معها في حياته اليومية .

والأمر غير ذلك تماماً ؛ إذ التقنية ملازمة للإنسان منذ أن خُلق ووجد على ظهر هذه الأرض، ولولا تسخير الله لها للإنسان لما تمكن من البقاء والاستمرار، ولما استطاع أن ينمو ويتطور ، وأن يصنع لنفسه ما يقابل احتياجاته الأولية ، وتلك التي تمكنه من الحصول على ما يتجاوزها إلى الوصول إلى مستوى حياتي أفضل .

فالإنسان منذ آلاف السنين استخدم الأدوات التي اخترعها من الأحجار والأجسام الصلبة، وسخرها لإنتاج ما يحتاج إليه من غذاء وكساء ومأوى وكانت النتيجة أن البشرية استطاعت التكاثر والانتشار وتطوير وسائل التقنية المختلفة للحصول على المزيد من المنتجات المتنوعة والمتطورة .

ولم يكن أحد في ذلك الزمان يتحدث عن التقنية ولا حتى عن العلم ، بل كانت الأمور تسير بعفوية ودون أن يفكر أحد في تفسير أو تعريف التقنية وتوضيح المقصود من تلك الكلمة أو ذلك المصطلح ، إلى أن حل القرن العشرين الذي فجَّر هذه المنطقة من البحث والمعرفة ، فطفق الناس يتحدثون عن التقنية وكأنها فتح جديد ، والأمر في حقيقته لا يتجاوز الحديث عن تقنية جديدة مغايرة لما سبقتها وهي التقنية التقليدية.

ونظراً لأن ما حدث في النصف الثاني من القرن العشرين من إبداعات ومخترعات علمية وتقنية جديدة ووفيرة سيطرت على المجتمع الإنساني ؛ فقد تنازل الناس عن وصفها بالتقنية الجديدة في مقابل التقنية القديمة، وأصبحوا يطلقون عليها التقنية؛ مُطْلقةُ ومجردةً من الأوصاف ، ولكن واقع الأمر يؤكد أن المقصود هو التقنية الجديدة وليس كل ضروب التقنية .

العلم والتقنية :

وللتمييز بين العلم والتقنية ؛ فقد أنفق العلماء وقتاً طويلاً في الوصول إلى تعريفٍ جامعٍ مانع للتقنية ، يفصل بينها وبين العلم الذي يهتم بالدراسة المنتظمة للظواهر الطبيعية والحسية ، والتي تُمكّن الباحثين من الغور في أعماقها والوصول إلى المراحل التي تُمكن البشرية من الاستفادة منها . فالتقنية مرحلة تلي العلم القائم على النظريات وعلى البحث ؛ أي أنها مرحلة التطبيق العملي والاستفادة من العلم ، وهي بهذا المفهوم ، تعني التطبيق العملي للعلوم، لذلك فإن المعنِيَّ بالتقنية الإعلامية في هذه الورقة : هو التطبيق العملي لكل ما جاءت به مؤسسات ودور الإنتاج الإلكتروني وغيرها من وسائل ووسائط يمكن استخدامها في إنتاج الرسائل ، وبثها إلى الطرفيات النهائية المقصودة بالخطاب .

المشهد يتكرر :

لقد سيطر مفهوم التقنية على قطاع الإعلام دون غيره من القطاعات، وأصبح الأمر شبيهاً بالإِشكال الذي ارتبط بالكلمة عندما استُخدمت وكأنها أمر جديد مستحدث، بينما هي ظاهرّة قديمة وُجدت مع الإنسان .

واليوم يتكرر نفس الموقف ؛ إذ يربط الكثيرون بينها وبين وسائل الإعلام، في حين أن التقنية هي ظاهرة العصر، وهي المسيطرة على كل شيء في الصناعة والزراعة والتجارة ، ومجالات الأبحاث العلمية في الطب والهندسة والاستنساخ والفلك والفضاء الخارجي وغيرها .

فتقنية الإعلام لا تعدو أن تكون واحدة من الأنشطة البارزة في حقل التقنية، ولكنها الأكثر شهرة وانتشاراً .

والمسلمون - معْنيون بكل أنواع التقنية المتاحة في هذا العصر، إلى جانب التقنية الإعلامية التي هي موضوعنا في هذه الورقة .

التقنية الإعلامية :

التقنية الإعلامية مرت بمراحل عديدة استغرقت حتى الآن ستة قرون، وتنوعت وتعددت أشكالها : الميكانيكية (كالمطبعة)، والكيمائية الميكانيكية (كالتصوير) والإلكترونية (كالراديو والتلفاز) ، انتهاءً بالرقمية.

والمسلمون كانوا شهوداً على كل هذه المراحل ، ولكن إسهاماتهم فيها كانت محدودة ، وتقوم على الاستهلاك والتعاطي مع ما تُفرزه وتنتجه التقنية الإعلامية ، فقد كانوا يقرؤون الكتب والصحف ويستمعون إلى الراديو، ويشاهدون التلفاز، ولكنهم لم يكونوا عنصراً مشاركاً وفاعلاً في تطوير التقنية الإعلامية نفسها .

ولو قُدر للإنسان المسلم أن يَلِج ساحة التقنية والاختراع لوسائل الإعلام قبل القرن الخامس عشر الذي اخترع فيه الألماني غوتنبرج المطبعة الميكانيكية؛ لكان العالم الإسلامي أول المستفيدين بدلاً من الكنيسة التي استطاعت وبذكاء أن تطبع من الإنجيل آلاف النسخ وتوزعها على معتنقي الديانة المسيحية قبل نهاية القرن .

كان المسلمون قبل ذلك التاريخ هم أكثر شعوب الأرض صلة بالعلوم والمعارف ، يختزنون أقداراً هائلة من المخطوطات والوثائق، ويسيطرون على مجالات علوم الهندسة والطب والفَلك والرياضيات ، ويحتفظون في مكتباتهم بأعداد كثيرة من الكتب والمخطوطات ؛ كتلك التي حوتها مكتبة بغداد مثلاً، التي كانت في وقت من الأوقات محَجَّةً للباحثين وطلاب العلم والمعرفة من جميع أنحاء الأرض .

تقنية الطباعة :

استطاع الصائغ GOLD SMITH الألماني "يوحنا غوتنبرج" في عام ١٤٦٢ في مدينة مينز بألمانيا ؛ أن يستفيد من خبرته وحرفته كصائغ للذهب وأن يخترع الحروف المتحركة التي تَمكن الإنسان من الاستفادة منها في طباعة أعداد كبيرة من النسخ ؛ دون أن يستهلك ألواحا كثيرة من الأخشاب التي اعتاد الناس نحْت الحروف عليها وغمْسها في الأحبار ثم طباعة ما فيها على الورق دون إعادة استخدامها لصفحة أخرى .

وبالرغم من بدائية الاختراع - كما يبدو لنا الآن – فإنه كان في ذلك الزمان فتحاً عظيماً ، طرق آفاقاً جديدة للطباعة ، ومكَّن الاتصاليين من تحقيق الوسيلة المتحركة التي جسدت مفهوم الاتصال الجماهيري لأول مرة في التاريخ ، وهو الاتصال غير المباشر الذي يتم عبر وسيلة من الوسائل .

تطورت الطباعة من ذلك النمط البدائي اليدوي في القرن الخامس عشر، إلى اختراع مطبعة تعمل بالطاقة البخارية ، إلى أخرى أكثر تطوراً تعمل بالطاقة الكهربائية ، مع تغيرات عديدة في شكل الحروف وأنواع الورق وأشكاله المختلفة، وما تبع ذلك من تطور مذهل في ماكينات وآليات

الطباعة التي بلغت شأوًا من التقنية شمل كل أنواع الطباعة الصحفية والكتب والشيكات وتذاكر الطيران والعُملْة وغيرها ، وعلى أنواع من الأوراق اللامعة والمُطفأة وبأوزانه المختلفة الخفيفة والثقيلة، مع استخدام الصورة الملونة والتصميمات الجميلة الرائعة، الأمر الذي جعل منها وسيلة ووسيطا للتواصل لم يكن يتصورها غوتنبرج نفسه عندما اخترع المطبعة الأولى .

لقد كان للمسلمين الفضل في إدخال الورق إلى أوروبا في القرن الثاني عشر عندما فتحوا الأندلس ، وقد تزامن ذلك مع استفادة المجتمع الأوربي من العلوم والمعارف التي رافقتهم في مسعاهم إلى تلك البلاد ، فتحالفت المعرفة والعلم مع وسائل النشر والذيوع ، فكان لهم ما أرادوا.

وعلى الرغم من أن تقنية الورق الأولى كانت مصرية عُرفت بورق البردي ؛ فإن الصين هي صاحبة التقنية الثانية المتمثلة في التحسين الذي طرأ عليه في القرن الثاني الميلادي .

إلا أن المسلمين كانوا على مقربة من الصين في آسيا، وأصبحت مصر بعد الفتح الإسلامي مُكّوناً أساساً للعالم الإسلامي، وهكذا نشأت العلاقة التي ربطت ووثَّقت بين الطباعة بصفة عامة ، وبين استخدام مدخلاتها في العالم الإسلامي منذ عهوده بعيدة .

الدولة العثمانية كانت من أول المستفيدين والمستخدمين لتقنية الطباعة، وقد راجت بذلك حركة الطباعة والنشر في تركيا، وامتدت إلى كل المناطق الواقعة تحت سيطرة العثمانيين- وبخاصة في الشرق العربي؛ في مصر والشام - بل إن محمد علي باشا عندما غزت قواته السودان ١٨٢٠م، أحضرت معها أول مطبعة في تاريخ السودان عُرفت بالمطبعة

الحجرية، وقد وظُفِّت في طباعة الأوامر والمنشورات والمطبوعات التي تستخدم في دواوين الحكومة إبَّان الحكم التركي، بل أن محمد أحمد المهدي بعد هزيمته للجيوش الغازية ١٨٨٥ م ، أبقى خليفته على الفنيين الذين يديرون المطبعة ليستفيد في توظيفها في طباعة راتب المهدي، ثم قام خليفته من بعده عبد الله تور شين - الذي أرسى قاعدة الدولة الإسلامية في السودان بعد موت المهدي وحتى سقوط الخرطوم في نهاية القرن - بالتوسع في استخدام المطبعة لإغراض الدولة .

والملاحظ أن الحرف العربي المستخدم في تركيا قبل سقوط الإمبراطورية ومجيء أتاتورك ، وفي أرض فارس ، وفي اللغة الأوردية، بالإضافة إلى العالم العربي ، قد شكل جبهة عريضة للحرف العربي، ولاستخدام المطبعة في العالم الإسلامي العريض بتقنية متقاربة في الحروف واتجاه الكتابة من اليمين إلي الشمال .

تقنيات الإعلام في القرن التاسع عشر :

القرن التاسع عشر هو أكثر القرون التي شهدت ظهور ومَولد تقنيات الإعلام في العالم .

والباحثون الدارسون لعلوم الاتصال يصفون تطور ومراحل تقنية الإعلام بالموجات أو الثورات ، ولكنهم لا يختلفون في أن الموجة الأولى أو الثورة الأولى بدأت بما حدث في القرن التاسع عشر ، ولعلها مصادفة غريبة ونادرة أن تبدأ كل هذه الأشياء مجتمعة في قرن واحد ، وتستمر في التطور والنماء حتى تصل إلى ما وصلت إليه الآن في عصر العولمة والرقمنة.

ففي هذا القرن ؛ ظهرت الصورة الفوتوغرافية ، وهي تقنية ميكانيكية

وكيمائية أسهم في اختراعها عام ١٨٢٦ الفرنسي جوزيف نبسي الذي بدأ بتطبيق نظرية ليوناردو داڤينشي، فقام بإنتاج [١] صورة فوتوغرافية بوساطة فتحة زمنية استغرقت أربع ساعات ، ثم تعاون بعد ذلك مع شخصية أكثر منه شهرة وهو لويس جاكس ماندي دارقوري الذي ينسب إليه الفضل في اختراع اللوحات النحاسية التي تسجل عليها الصورة.

وفي انجلترا ظهر توماس ودج وود الذي تولى الجانب الكيميائي لمعالجة الصورة FJU~VTI على نِترات الفضة ؛ كنوع من الكيماويات الحساسة للصورة ؛ لها قدرة عاليةَ على التثبيت .

ثم توالت بعد ذلك المحاولات التي هدفت إلى اختراع الكاميرا بطريقة تماثل وتُجسَّد ما ذكره داڤينشي في مذكراته غير المنشورة عن الثقب الصغير في الحجرة المظلمة، الذي يدخل من خلاله الضوء إلى الحجرة، فيعكس الصورة للأشياء التي تكون خارجها بطريقة توحي بنقل الشكل على حائط الحركة.

لقد تطورت الصورة الفوتوغرافية الثابتة [٢] إلى صورةٍ متحركة أطُلق عليها MOTION PICTURE أو سينما، وقد تم ذلك في القرن التاسع عشر أيضاً- وعلى وجه التحديد عام ١٨٨٨ - باختراع الكاميرا التي تستطيع التقاط صورة متعددة دون توقف ، وجهاز العرض المستمر الذي يستطيع عرض صور ثابتة بطريقة متتالية وبسرعة معينة ، بحيث توحي للمشاهد وكأنه يشاهد جُرماً متحركاً .

---

(١) علي محمد شمو : الاتصال الدولي والتكنولوجيا الحديثة – الدار القومية العربية للثقافة – القاهرة ١٩٩٨

(٢) نفس المصدر .

وقد تمكنت مجموعة من الموهوبين أمثال هانيبال وقودوين وتوماس وستون من اختراع الكاميرا التي تستطيع التقاط الصور دون توقف ، وجهاز العرض الذي يستطيع العرض دون توقف أيضاً .

وبالمناسبة ؛ فإن كثيراً مما حدث في العالم الإسلامي في بدايات القرن العشرين ؛ قد تم تصويره وتسجيله سينمائياً أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها حتى سقوط الخلافة العثمانية ١٩٣٢ ، بتقنية التصوير .

الثورة السلكية :

وفي القرن التاسع عشر بدأت الثورة السلكية، ثم من بعدها الثورة اللاسلكية، وتحقق للإنسان ولأول مرة في التاريخ التخاطب مع من لا يشاركه الرقعة الجغرافية التي يعيش فيها ، واتسعت بذلك المساحة التي يجري فيها الاتصال بين الناس ، وبدأت المسافة تنحسر رويداً رويدا حتى لم يعد لها ذلك الاعتبار الذي كان لها في الماضي .

فالإشارات والرموز والصوت ؛ أصبحت الحامل الرئيس للرسائل، وقد تحولت فيما بعد إلى ما يُعرف بالخطاب.

ففي عام ١٨٤٤ نجح صامويل [١] في إنشاء خط سلكي يربط بين مدينتي بالتيمور وواشنطن في الولايات المتحدة الأمريكية ، بلغ طوله سبعين كيلومتراً، واستطاع من خلال الرموز أو اللغة التي ابتدعها - والتي عُرفت فيما بعد برموز مورس - أن يصل بين الناس في المدينتين ؛ عبر هذه الرموز التي تعبر عن الحروف الهجائية بضربات أو نبضات يرسلها عبر السلك إلى الطرف المتلقي ليقوم بترجمتها وتحليلها مكتوبة إلى الجهة المعنية.

---

(١) COMMUNICATION REVOLUTION GBORGEN CORDON HASTIG HOUSE PUBLISHERS NEWYORK BOOK IOOH

وعلى سبيل المثال فإن ثلاث ضربات تساوي حرف السين S، وقد أسهم هذا الاختراع في تنشيط التجارة والتواصل الاجتماعي ونشر الأخبار التي يرسلها مندوبو الصحف وممثلو وكالات الأنباء ؛ فضلاً عن الحراك التجاري والاقتصادي الذي نتج عن هذا التواصل الناجح والفعال .

ولم يمض على هذا الاختراع سوى واحد وثلاثين عاماً ؛ حتى تمكن ألكساندر جراهام بِل من تطوير [١] هذه الشبكة السلكية ، وتحويلها إلى حاملة للصوت بدلاً من الرموز، أو بالاثنين معاً ، وأطلق على هذه التقنية الجديدة: التليفون.

ولأول مرة في تاريخ البشرية يستطيع الفُرَقاء الموجودون في أماكن متباعدة أن يتصلوا مع بعضهم بعضاً عبر التلفون بطريقة بدائية في المراحل الأولى، ولكنها تطورت مع مرور الزمن إلى مستوى أفضل، وقبل نهاية القرن ؛ عرف الناس التلغراف والتلفون على نطاق الكرة الأرضية .

لم أعثر طوال دراساتي لتاريخ وسائل الاتصال وتقنياتها المختلفة أن المسلمين قد أسهموا في بداياتها الأولى، وإن كنت لا أستبعد ذلك ، فقد يكون بين سكان الولايات المتحدة وأوروبا- حيث نشأت هذه التقنيات - مَنْ يَدينون بالإسلام ويشكلون عنصراً فاعلاً في الابتكار والاختراع، أو على الأقل في مرحلة صناعة المنتجات التي تنتجها مصانع تلك الدول ، ولكنني على يقين من أنهم كانوا من أوائل الذين استخدموا التلغراف والتلفون بعد وقت وجيز من اختراعهما.

---

(١) STEVE NEALE : CINEMA AND TECHNOLOGLY – MCMILLAN EDUCATIONALTD – LONDON

وأستطيع أن أؤكد أن التلغراف قد استخدم أثناء الغزو الثنائي على السودان أثناء بناء الغزاة لخط السكة الحديد الذي امتد من حَلْفا وحتى الخرطوم ، كما أن شركة وسترن الدولية للاتصالات السلكية كانت لها نقطة هامة من الخط التليفوني والتلغرافي الرابط بين أوروبا وآسيا في مدينة سَواكن بالبحر الأحمر، كما أن استخدام التلغراف بصفة خاصة قد مكَّن المراسلين الحربيين من نقْل أنباء معركة كرري والمعارك الأخرى التي خاضتها قوى الغزو على السودان وغيره من دول العالم الإسلامي.

ويمكن التركيز في هذا السياق على تركيا بوصفها دولة أوروبية مسلمة، لم تكن بعيدة عن هذه الأجواء العلمية والتقنية بحكم أنها جزء من ذلك المجتمع، وباعتبار القرب الجغرافي فهي دولة أوروبية بحكم الواقع [١] .

الثورة اللاسلكية :

الثورة التقنية الحقيقية التي أثرت في مسيرة التواصل البشري منذ الخليقة وحتى اليوم هي الثورة اللاسلكية ، ويشاء الله سبحانه أن تكون هي خاتمة ثورات الاتصال في القرن التاسع عشر ؛ فبعد نجاح الاتصال السلكي ؛ شرع عدد من العلماء الموهوبين في وضع نظريات فيزيائية تتمحور حول الاستغناء عن الأسلاك الرابطة بين المرسِل والمرسَل إليه، والاستعاضة عنها بالطيف الكهربائي المغناطيسي في حمل الرموز بين الأطراف المتصلة. وقد بدأ الأمر كنظرية، ثم أجريت عليها أبحاث وتجارب أولية ، وأخيراً وصلت إلى مرحلة الاختراع الذي أُعلن في عام ١٨٩٦م.

(١) FROM MORSE TO MULTI MEDIA ITU CELEBRATING YEAB 130

وقد اكتشف البثَّ لاسلكياً [١] وعبر الموجات الكهرومغناطيسية : العالِم الاسكتلندي جيمس ماكسويل ؛ الذي وضع أساساً متيناً لنظرية البث اللاسلكي ، وقام بنشرها وتوضيحها عام ١٨٨١م ، ثم تلاه العالم الألماني هينريش هيرتز الذي قام بإجراء تجربة ناجحة عام ١٨٨٨م ، بَرْهَن فيها على صحة وصدق النظرية، وعرض فيها نتيجة التجربة التي تمثلت في توليد موجات مغناطيسية وبثها عبر الفضاء الخالي ، ثم جاءت مجموعة أخرى من العلماء الموهوبين قامت بتطوير نظرية ماكسويل وتجربة هيرتز ، وخطوا بها خطوات إلى الأمام حتى وصلت إلى مرحلة هامة .

ففي عام ١٨٨٥م ، وفي تجربتين منفصلتين قام بهما وقيقليمو ماركوني، أفْضتا إلى نتيجة واحدة ؛ أكدت أن التلغراف اللاسلكي اختراع عبقري وانجاز مفيد ، ومن ثمَّ انتقل العالم إلى مرحلة جديدة اتسعت فيها دائرة التواصل دون قضيب ممدود محدود، أو طريق مرصوف، أو سلك مربوط.

نهاية البدايات :

اكتملت العناصر الرئيسة والبدايات التقنية والعلمية لوسائل الإعلام في القرن التاسع عشر.

وما نشاهده اليوم هو امتداد وتطوير لهذه التقنية ؛ التي وضعت الأساس الأول لاستخدام الطيف الكهرومغناطيسي والاتصال المرئي القائم على التصوير ؛ الذي يعتبر أساس الاتصال المرئي بكل أشكاله وألوانه (كالصورة

---

(١) ROBERTL HILLIARD AND OTHERS RADIO BROAD CASTING AN INTRODUCTION TO SOUND MEDIUM .

الثابتة والمتحركة والقائمة على التقنية الميكانيكية - الكيمائية أو الالكترونية أو الرقمية).

لقد بذل العلماء والتقنيون جهوداً جبارة في تطوير هذه المخترعات ؛ التي تحولت فيما بعد إلى خدمات إعلامية منتظمة تمثلت في الراديو والتلفاز والسينما وخدمات التلفون الثابت والمحمول والتلغراف .

وقد ظل العالم في عصر الثورة الصناعية ؛ مرتبطاً بهذه الأجهزة التقليدية حتى نهاية النصف الأول من القرن العشرين.

وكلمة وسائل تقليدية أصبحت مصطلحاً مقابلاً للمصطلح الجديد الذي يصف الوسائل الحالية بالإعلام الجديد والذي سنتعرض له فيما بعد .

أين المسلمون من كل هذا ؟

وقبل أن نغادر هذه النقطة ، يجب أن نوجه الأنظار إلى أن المسلمين كانوا طوال هذه الفترة الممتدة من القرن التاسع عشر حتى خمسينيات القرن الماضي يرزحون تحت نِير الاستعمار ؛ عدا دول قليلة في الجزيرة العربية وتركيا، ومع ذلك فلم تكن الشعوب الإسلامية بمنأى عن التأثُّر بهذه الوسائل، فالراديو كان مشاعاً في إندونيسيا والملايو والعالم العربي وغرب إفريقيا وشرقها، وكلها دول شعوبها مسلمة، ولكنها كانت تحت نفوذ الاستعمار الفرنسي والهولندي والإنجليزي .

ويمكن اعتبار المسلمين على هذا الأساس من طائفة المستهلكين ، أو أنهم يشكلون الهدف الذي قصده القائمون بأمر السلطة في بلادهم - وهم يديرون الراديو والتلفزيون- لتوصيل ما يريدون من رسائل مصممة؛ بغرض إحداث آثار معينة تساعد على بسط سيطرتهم ونفوذهم على بلاد المسلمين .

بل أن التفكير في إنشاء الإذاعات الموجهة كان مرَدُّه إلى هـذا الاتجـاه. فالإتحاد السوفيتي كـان يوجـه إذاعاتـه إلى خـارج الحـدود لنشـر العقيـدة الشيوعية والتأثير في دول الجوار .

وهولندا كانت تبث برامجها من أوروبا إلى مستعمراتها في آسيا.

أمـا المملكـة المتحـدة الـتي كانـت تـدير إمبراطوريـة لا تغيـب عنـها الشمس، فقد كانت مهمومة بالتواصل مع مستعمراتها عبر الإذاعة ؛ بحجة خلق صلات ثقافية بينها وبين تلك الشعوب ، الأمر الذي دفعهـا إلى إنشـاء خدمة الإمبراطورية عام ١٩٣٢.

وغالبية الشعوب المعنية بتلك الإذاعات الموجهة كانت شعوباً مسـلمة في آسيا وأفريقيا .

ويمكن أن نجمل القول بأن المسلمين لم يستفيدوا من تقنية الإعـلام أو وسائل الاتصال طوال هذه الفترة من القرن التاسع عشـر حـتى الخمسـينات من القرن المنصرم، ولم يفلحوا في توظيفها لمصلحة شعوبهم التي كانت لا تملك من أمرها شيئاً ، ولذلك فإن العائد لم يكن إيجابيـاً ؛ لأن المحتـوى الذي تبثه تلك الوسائل كان من صنع المستعمِرين، وما علـى المسـتعمَرين سوى الاستهلاك، فهي علاقة قائمة على الطغيان والجَور من حيـث التقنيـة التي وفرت للمستعمرين فرصة تَدفُّقٍ كثيـف للمعلومـات في اتجـاه الـدول الخاضعة لنفوذهم، دون أن تهيئ لمـواطني تلـك الـدول الفرصـة للتـدفق المعاكس، فهو إذن طريق سالب ذو اتجاه واحد ؛ الأمر الذي نتج عنه خلل وعدم توازن وشكوى من هذه المواقف التي لا يمكن الدفاع عنـها أخلاقيـا ولا قانونياً .

العولمة وتقنية الإعلام :

تقنية الإعلام وما شهدته من تطور وتقدم في النصف الثاني من القرن العشرين - وهي الفترة التي بدأ شأن المسلمين فيها يتغير ويتبدل، وطفق كيانهم يتخذ وضعاً أفضل سياسياً واقتصادياً وديمقراطياً- ارتبطت بما ظهر في الأفق الإعلامي والمعرفي والسياسي من مصطلحات عديدة وجديدة ؛ تُعبر عن المراحل التي يعيشها العالم اليوم ؛ بالرغم مما تثيره من تساؤلات حول ماهيتها بل وماهية المرحلة ذاتها .

ومن أبرز هذه المصطلحات : العولمة – النظام العالمي الجديد – القطبية الأحادية – المجتمع الدولي – الإرهاب – الديمقراطية والتعددية – حقوق الإنسان ، العقوبات الاقتصادية ، إلخ .

والغريب أن الآليات التي تعمل على تشكيل هذا المجتمع الجديد وتدير أنظمته ؛ تنتمي كلها إلى فصيلة التقنية التي نسميها نحن: تقنية الإعلام، ويسميها غيرنا : تقنية المعلومات وتقنية الاتصال اللتين اتحدتا وتزاوجتا فيما بعد فأوجدتا عالم اليوم . ولعل أهم هذه المصطلحات ذات الصلة الحميمة بموضوعنا : (العولمة) ؛ لأن محاولة معرفة ماهيتها يوضح لنا ضرورة الاهتمام بتقنية الإعلام أو المعلومات ؛ لأن من يُجيدها ويسيطر عليها سيكتب له التفوق والسيادة .

العولمة GLOBALIZATION

منذ أن ظهر مصطلح " العولمة " وبشكل جاد في الربع الأخير من القرن العشرين؛ بدأت كل القوى النافذة - وفي مقدمتها مفكروها وعلماؤها - في محاولةٍ لوضع تفسير أو تعريف للمصطلح .

وما نشر عنه من دراسات وبحوث تناولته من زوايا عديدة يفوق كل ما نشر عن المصطلحات الجديدة الأخرى .

ولو حاول الباحث ـ أيُّ باحث ـ أن يُلم ويحيط بكل ما كُتب عنها فلن يستطيع ، ولو حاول التوفيق بين وجهات النظر التي يراها المنتسبون إلى القطاعات المختلفة في المجتمع الدولي فلن يفلح ؛ فالسياسيون والاقتصاديون والاتصاليون ورجال الإعلام ، يدَّعي كل منهم أن العولمة هي حصيلة لجهادهم ونضالهم عبر القرون .

ويمكن أن نورد فيما يلي بعض الحجج التي ساقها كل فصيل .

هل العولمة تطور سياسي ؟

(١)السياسيون يقولون إن العولمة هي وليد شرعي للتطور الذي حدث في المجال السياسي- وبخاصة بعد الحرب العالمية الأولى التي انتهت إلى قيام قطبية سياسية تعددية شملت بريطانيا وألمانيا وفرنسا، بالإضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وربما الدولة العثمانية .

ويرون أن النظام السياسي العالمي ظل على هذا المنوال حتى نهاية الحرب العالمية الثانية التي وضعت أوزارها عام ١٩٤٥م ، وقد ظهر فور نهاية الحرب فراغٌ وتَصدُّع في جبهة الحلفاء ؛ أدى إلى نشوء قطبين أعظم ؛ هما : الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي؛ أحدهما تسانده القوى الرأسمالية ، والآخر القوى الشيوعية الاشتراكية. وقد بدأت المنافسة بينهما في السيطرة والاستحواذ على بقية أنحاء العالم ، وكانت أفضل ساحة للصراع هي آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وكانت أغلب دول العالم الثالث تناضل من أجل الحرية والاستقلال، وتنشد العون والمساعدة

لإنجاز ذلك الهدف الاستراتيجي الهام وهو طرد المستعمر، والتحرر من استبداده وسطوته .

وكانت هناك دول أخرى مستقلة، ولكنها فقيرة ومتخلفة تسعى للحصول على العون والمساعدة أيضاً.

وفي هذا الجو الصالح للسباق والتنافس- وبخاصة بعد حصول العديد من الدول الإفريقية والآسيوية على استقلالها بعد عام ١٩٥٦م - نشأت منظمة دول عدم الانحياز، وجعلت شعارها : الحياد الإيجابي ، فأحدثت بذلك توازناً في النظام السياسي الدولي ، ووجدت الحماية اللازمة من القوى الدولية التي تسعى للفتك بها بالعدوان المباشر أو باستخدام الآليات الدولية (كمجلس الأمن والمنظمات الأخرى التابعة للأمم المتحدة) ؛ لأن القوى الأخرى كانت مستعدة للمناصرة بالمال والسلاح ، أو باستخدام حق النقض(الفيتو) .

الحرب بين القطبين - الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي - ظلت نادر، وقودها الإعلام وتقنيته المتطورة والمتقدمة ، التي برع وتفوق فيها القطب الأمريكي الذي لم ينفك يوجه إذاعة راديو الحرية [١] لتحريض المواطنين داخل الستار الحديدي - الاتحاد السوفيتي - للثورة على النظام، وراديو أوروبا الحرة لاستنفار شعوب الدول التابعة للاتحاد السوفيتي للثورة على حكوماتها ، والخروج من طوق السيطرة الشيوعية والتبعية المُذلة ؛إلى تبعية تسمح لهم بحرية التعامل مع الآخرين خارج نطاق المحور السوفيتي، بينما فشل الاتحاد السوفيتي في مجاراة الغرب في حرية الإعلام والتعبير،

(١) الاتصال الدولي – مصدر سابق.

وفي الحصول على التقنية الإعلامية التي يستطيع بها مناطحة ومصارعة الآلة الغربية، واكتفَى فقط بإنتاج سياسة تقليدية في الإعلام ، وتَبنيه موقفاً سلبياً يتمثل في بناء محطات الإرسال التي خصصها لمحاربة الإرسال القادم من الغرب ، وذلك بالبث على نفس الترددات وبجهاز أقوى من الأصل حتى يتمكن من خنق الإشارة ويَحُول دون وصولها إلى الشعوب السوفيتية والشعوب التابعة لها في الدول التي تدور في فَلكها. وقد نجحوا في ذلك الخنق السلبي لفترة محدودة، وما لبث النظام التقني للإعلام السوفيتي أن انهار، ومن ثمّ انتهت أسطورة الاتحاد السوفيتي، وبرز إلى العالم ، المارد الجديد الذي جسَّد النظام العالمي الجديد القائم على القوة الأحادية التي تستطيع أن تأمر وتنهي وتُسيِّر المؤسسات العالمية وفق سياساتها ومِزاجها دون أن يجرؤ أحد على مواجهتها، حتى القوى الصاعدة المتمثلة في الصين، أو ذلك الندَّ القديم الذي أصبح داجناً يحوم حول مصالحه وممالأته لغريمه الأول حتى ولو لم يرض عن مواقفه التي لا تتفق معه في غالب الأحيان، وهو بالتأكيد موقف غير أخلاقي .

رؤى ومدارس مختلفة حول العولمة :

يرى فصيل من الساسة ، وبعض أساتدة العلوم السياسية؛ أن العولمة هي النظام العالمي الجديد الذي نعيشه اليوم، وأن القوى السياسية الكبرى -الولايات المتحدة - هي الحاكمة ، وأن القوانين والمواثيق التي تلتزم بها المؤسسات السياسية والمجتمعات المدنية هي المرجعيات التي يستند عليها النظام العالمي، وبِناء على هذا المنطق، فإن أهل السياسة يدَّعون أن العولمة ما هي إلا حصاد لجهدهم المستمر الذي مرَّ بمراحل ثلاث هي: القطبية التعددية، والقطبية الثنائية، وأخيراً القطبية الأحادية التي نستظل بنظامها اليوم.

هل هي تطور اقتصادي ؟

٢ . رجال المال والاقتصاد والتجارة يَدَّعون أنهم هم أول من نذر فكرة العولمة، وذلك بدعوتهم لقيام منظمة الجات ، وهي اختصار للاتفاقية العامة للتجارة التعريفية، وكان الغرض من قيامها في عام ١٩٤٧ : التفاوض حول أمثل الطرق لإنشاء نظام دولي للتجارة يضمن فتح الأسواق وحركة السلع وتوحيد الرسوم والجمارك ، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى إزالة كل الحواجز والعوائق التي تَحول دون حرية التجارة وانسياب السلع ؛ في كل الاتجاهات وإلى جميع البلدان الأعضاء في المنظمة ، وقد استمر التفاوض بشكل جاد ومنتظم ؛ طوال الفترة منذ إنشاء المنظمة ، وحتى توقيع الاتفاقية عام ١٩٩٤ ونشوء منظمة التجارة الدولية WTO بديلاً للجات .

رجال المال والاقتصاد يرون أن العولمة الحقيقية بدأت بتوقيع الاتفاقية ١٩٩٤ ، وأن العالم اليوم ليس كما كان في السابق مليئاً بالحواجز والسدود والعوائق والشروط ؛ بل أصبح مجالاً حراً يستطيع الإنسان أن يتحرك فيه تجارياً دون أن يواجه إجراءات معقدة ، وتنساب فيه العملة دون قيود ، وتمارَس التجارة فيه عبر النظام الالكتروني التي تُوقع من خلاله العقود ، وتدفع القيمة ، وتوضع الضمانات لسلامة البضائع والالتزام بشروط العقود.

وقد وفر هذا النظام ضمانات كافية عبر التوقيع الرقمي الذي لا يستطيع أحد تقليده أو تزويره، ولا يستطيع المُوَقع على العقد فيما بعد أن ينكره أو ينكث عنه .

العولمة ليست كما يراها أهل المال والاقتصاد :

ومع احترامنا لما يدعيه أهل المال والاقتصاد ؛ فإن العولمة ليست أمراً مادياً بحتاً يقوم على حركة الاقتصاد والسلع ؛ بل هي أمر يتجاوز ذلك بكثير، مع أن السلع الواردة في وثيقة الجات GATT ليست كلها مادية؛ بل كثير منها ثقافي وإبداعي كالأفلام السينمائية والكتب والموسيقى والفنون إلخ ، وهي بلا شك ، سلع تمثل تهديداً للتوازن التجاري والثقافي، وتؤثر على ثقافات الكثير من الناس ، الأمر الذي جعل بعض الدول التي تدور في فَلك الغرب- مثل فرنسا وألمانيا، والتي يضمها نظام قيمي موحد- تتردد في التوقيع على الجزء الخاص بالسلع الثقافية الواردة في الاتفاقية ؛ خوفاً منها علي ما يتهدد شعوبها وثقافاتها من تدفق السلع الثقافية الواردة من دول الهيمنة.

ونشير هنا إلى عدم التوازن في السلع الثقافية بين أمريكا وأوروبا ؛ أي أن المسلمين ليسوا هم وحدهم من يخشى عولمة الثقافة ؛ بل أن هناك كثيرين يخشون على ثقافاتهم وحضاراتهم من الزوال والانحسار.

ولكننا - نحن المسلمين - نمتاز عنهم بأننا أقدر على مقاومة الوارد من الثقافات إلى مجتمعاتنا من كثير من أولئك الذين لا يملكون مقوماتنا الثقافية والحضارية والتاريخية؛ التي تتمتع بالقوة والحصانة والقدرة على المواجهة.

الغَلبة لنا :

٣. أما الفصل الثالث الذي يمثل القائمين على المعلومات والاتصالات، فهم الذين يدَّعون – وبحق – أنهم صُنَّاع العولمة، ولولاهم لما صارت ولما أصبحت أمراً واقعاً، ولما كان بمقدور النظم السياسية أن تتطور بهذا المعدل السريع، ولما أصبحت التجارة والاقتصاد على هذا المستوى وهذا النمط الذي أصبحت معه العمليات التجارية بكل مراحلها

وتعقيداتها تتم بسهولة ويُسر وكأنها تدار في حانوت واحد يباشر فيه الجميع عمليات البيع ولشراء ؛ فإن تقنية المعلومات IT وتقنية الاتصال CT يشكلان عصَب التقنية الإعلامية التي نسعى لمعرفة موقف المسلمين منها ، فهي الأساس والقاعدة التي يقام عليها كل هذا التطور الهائل في مجال المعلومات والاتصالات ، ولعل بداية الأمر في نهاية الأربعينات والتسلسل في الأحداث والوقائع التي تلت ذلك التاريخ ؛ تؤكد هذا الزعم.

ثورة المعلومات :

لأول مرة استخدم العالم مصطلح ثورة المعلومات وتفجر المعلومات في الفترة التي سبقت حلول النصف الثاني من القرن المنصرم، وذلك عندما اتسعت قاعدة البحث العلمي، وانتشرت الجامعات ومراكز البحث ، وازدادت حاجة المجتمع الصناعي إلى المعلومات التي تساعده على تطوير مُخرجات معامل الأبحاث والمصانع ؛ لتسهم في التنمية العلمية والعملية كما فعلت معامل شركة بِل للتلفونات التي وفرت إمكانات البحث العلمي للعالِم الفذ الذي اخترع الترانزستور .

كانت الخطوة الأولى هي الاهتمام بتوليد المعلومات وحفظها، لأن قدرة الإنسان على استبقاء المعلومات في ذاكرته محدودة، تتأثر بعوامل كثيرة ، كما أن تخزينها في الوسائل التقليدية - كالسجلات الورقية - يُواجه مشكلة المساحة والتعرُّض للضياع والتخريب والاهتراء والإهمال والحرائق وسوء التخزين، لذلك كانت الفكرة الأولى : اختراع نظام يواجه كل هذه السلبيات ويضمن توافرها، ويكون قادراً على الحفظ ، ويتيح فرصة الاسترجاع والمعالجة واستخدام المنطق .

ولم يكن هناك طريق أفضل من الاتجاه إلى تطوير الحاسوب [١] الذي بدأ بجهاز يعالج العمليات الحسابية ويتعامل مع الأرقام .

ثم نجح العلماء في تطويره وجعْله قادراً على التعامل مع الحرف وبالتالي النصوص ، ثم الصورة بأشكالها المختلفة- ثابتة ومتحركة- .. إلخ.

وبسرعة فائقة ؛ عرف العالم تقنية المعلومات IT ، وبدأ في الاعتماد على الحاسوب مصدراً أساساً لهذه التقنية التي غيرَّت مسيرة التاريخ ودفعت بالعالم إلى بدايات الإحساس بالعولمة والمجتمع الجديد .

ولولا الاختراع العظيم الذي أنجزه دستوكلي عام ١٩٤٧ وهو الترانزستور، لما أمكن اختراع الحاسوب بالحجم الذي نراه الآن.

ولولا الحاسوب لما قامت ثورة النصف الثاني من القرن العشرين التي اتجهت في بداياتها نحو تقنية الاتصال ، فبدأت عام ١٩٥٧ باختراع وإطلاق أول تابع صناعي إلى ما وراء الحاجزين الغلاف الجوي المحيط بالأرض وبين الفضاء الخارجي، وهو القمر الصناعي السوفيتي للاتصالات، وقد كان قمراً بدائياً استطاع أن يدور حول الأرض [٢] ١٤٤٠ مرة في مدة ٩٠ يوماً، وهو عمره الافتراضي – وقد أكدت هذه المبادرة السوفيتية إمكانية تجاوز الأرض وما فوقها إلى رحاب أوسع في الفضاء الخارجي ، يتيح ربْط العالم كله بنظام اتصالي يجعل عملية الاتصال تتم في مدى ربع ثانية بين أي طرفين وفي أي بقعة من العالم ؛ وذلك لأن عُلوَّ الأقمار من الأرض بـ ٣٦ ألف كم، وسرعة الضوء ٣٠٠ ألف كم في الثانية ، والمسافة بين الطرفين صعوداً وهبوطاً هي ٧٢ ألف كم ، وهي أقل من ربع ثانية .

---

(١) علي محمد شمو، الاتصال الدولي وتكنولوجيا الاتصال – دار القومية العربية – القاهرة ١٩٩٨م

(٢) علي محمد شمو– الفضاء الخارجي وأقمار الاتصالات– دار العربية القومية للثقافة والنشر–القاهرة

التلفزيون أكثر المستفيدين من تقنية الأقمار: [١]

البث التلفزيوني استفاد كثيراً من الأقمار الصناعية ؛ بعد أن شهدت المزيد من التطور والتحسن في تقنيتها ، وإمكانية وضعها في المدار الثابت الذي يمكن القمر من تغطية ٤٢% من الأرض.

وعندما اكتمل النظام الدولي للأقمار الصناعية عام ١٩٦٩ بوضع ثلاثة أقمار في الفضاء فوق المحيطات الأطلنطي والهادي والهندي ؛ أمكن ربْط الكرة الأرضية عبر هذا النظام ، وبالتالي استفادت المجتمعات العالمية من التواصل المباشر عبر التليفون والفاكس والفضائيات التلفزيونية، وبدأ الناس يشعرون وكأنهم يعيشون في عالم واحد أشبه بالقرية الكونية قبل أن يصبح حاسوباً تحمله في كفِّك.

قدوم الإنترنت :

في عام ١٩٦٩ قامت وزارة الدفاع الأمريكية عبر مؤسستها البحثية العلمية ؛ ولأغراض تتعلق بالمشاكل الأمنية والاستراتيجية التي قد تواجهها في حالات الهجوم النووي أو الزلازل والكوارث الطبيعية ؛ قامت بالبحث عن حلول علمية تضمن الحفاظ على المعلومات الأمنية والعسكرية وسلامتها ، وكانت الإجابة بعد جهد بحثي عميق هي اختراع نظام تدور فيه المعلومات ولا تستقر في مكان واحد، وكان ذلك النظام هو الإنترنت .

وهناك الكثير من التفاصيل حول هذا الموضوع موجودة في الكتب والبحوث والمواقع الإلكترونية ، ولكن الذي يعنينا هنا أن هذه التقنية الإعلامية أو المعلوماتية العظيمة قد بدأت في ذلك التاريخ، وازدهرت في

---

(١) نفس المصدر.

الربع الأخير من القرن الماضي ، وكانت السبب الرئيس في التغيير الهائل الذي يشهده العالم اليوم ، وبخاصة بعد أن مُورِست الضغوط على الإدارة الأمريكية عام ١٩٩٣ بوساطة أعضاء الكونغرس لرفع (الحظر عن الإنترنت وحصر استخدامها في البنتاجون ومراكز البحث العلمي) ، لينتفع منها الناس في المجتمعات المدنية الأخرى خارج هذا النطاق .

استجابت الإدارة الأمريكية لهذا الطلب ، بل وسمحت باستخدام الأقمار الصناعية في إتاحة الفرصة للعالم الخارجي للدخول إلى منتدى الإنترنت، فأصبح بعد تلك المرحلة أداة دولية تتحكم في شؤون العالم .

التزاوج بين تقنية المعلومات وتقنية الاتصالات أفضى إلى إنتاج مولود جديد هو مجتمع المعلومات أو بالأحرى مجتمع المعرفة، وهو المجتمع الذي أقرته قمة المعلومات الأولى في ديسمبر ٢٠٠٣ في جنيف ، والثانية في تونس ٢٠٠٥ ، والذي حل محل المجتمع الصناعي ، أي أننا اليوم في مجتمع المعلومات .

التطبيقات العديدة التي جاء بها الإنترنت ؛ ويضيف إليها كل يوم تطبيقاً جديداً ؛ جعلت الإنسان يشعر بالمجتمع الواحد المتحد المتواصل ، وفي الزمن الحقيقي وبشكل مباشر ؛ بل أنه يشعر أحياناً عند اللقاءات الافتراضية عبر الإنترنت وكأنه في لقاء حِسِّي حقيقي مع الآخر بالرغم من بُعد المسافات واختلاف التوقيت ؛ إذ لم تعد للزمن ولا للمسافة قيمة تؤثر على نتيجة الاتصال وجدواه ، فالاتصال الفوري الصوتي والمرئي، والتعلُّيم عن بعد ، والتجارة والتطبيب ، والحصول على المعلومات في شكل أخبار ، ومتابعة الأسواق المالية وحركة السلع، والمشاهدة الفورية للأحداث

السياسية والكوارث ، كل ذلك يتم عبر الإنترنت – فهي التي جعلت الإنسان يحس بالعولمة أو الكونية التي تجعل منه فرداً في مجتمع واسع .

إن هذه المبررات التي ساقها تقنيو وعلماء الاتصال والمعلومات ورجال الإعلام والمعرفة، تُرجِّح ما ذهبوا إليه من أن العولمة لم يكن لها أن تتحقق وتصبح أمراً واقعاً ؛ لولا وسائل الاتصال والمعلومات التي ساعدت على تنمية الإنسان أولاً ثم النظم السياسية والاقتصادية التي تتحكم في شؤونه.

ولو تخيلنا غياب هذه التقنية الإعلامية عن الوجود ؛ فإن النظام العالمي الجديد، ما كان له أن يتحقق ، ولما كان لتنظيم التجارة العالمية بذلك الأسلوب الذي تديره منظمة التجارة الخارجية أن يصبح أمراً واقعاً، بل ولما ولدت المنظمة (WTO) نفسها في ذلك التاريخ.

لقد بذلت وزارة الدفاع الأمريكية جهوداً كبيرة، أسفرت عن ظهور الإنترنت الذي استطاع أن يعمل ويطبق المبادئ الواردة في نظامها وميثاقها.

الإنترنت يمكن أن يكون نعمة بدل أن يكون نقمة :

ليس مفيداً لنا كباحثين في موضوع المسلمين وعلاقتهم بالتقنية الإعلامية، أن نُصدر حكماً في : مَن هو البادئ ؟ ومن هو صاحب تلك العولمة؟ وهل هم الساسة ؟ أم الاقتصاديون؟ أم أصحاب الوسائل والآليات التي جعلت العولمة ممكنة بالتواصل وإزالة الحدود والسدود وهزيمة المسافة والزمن ؟

ولكن المفيد أن نقول إن المسلمين في عصر العولمة أسهموا - طائعين أو مرغمين - في الاستفادة من التقنية بالاقتناء ، والاستخدام ، وبخاصة الإنترنت الذي يعتبره كثير من المسلمين "هدية إلهية" لهم ليَنفُذُوا من خلاله

إلى العوالمِ التي ظلّت مغلقة في وجوههم ؛ عندما عجزوا عن مقارعة أجهزة الإعلام الغربية العملاقة التي تستخدم قدراتها عن طريق الاحتلال الثقافي والفكري بدلاً من الاحتلال العسكري الذي انتهى بنهاية الاستعمار، ولتشويه صورتهم بنقل معلومات مغلوطة خاطئة تصورهم للغربيين وكأنهم مجموعة من البشر؛ شهوانية، جاهلة، بليدة ، تملك الثروة ولا تعرف كيف تديرها وتوظفها لمصلحة مواطنيها ، وأنهم مجموعة من الإرهابيين ، وأن دينهم يقوم على الإرهاب والقتل وسفك الدماء .

ليس متأخراً :

أدرك المسلمون الأثر العظيم الذي يمكن أن يحدثه استخدام الأقمار الصناعية وشبكة الإنترنت والانفتاح على العالم الغربي ، بل اختراقه والإطلال عليه دون حواجِز أو عوائق .

فالأقمار الصناعية وسيلة محايدة صَمَّاء تحمل ما يُودع فيها، وتُوصله إلى حيث القصد.

والإنترنت وسيلة واسعة تتسع لكل ما يوضع فيها من معلومات دون قيد أو شرط ، وما على المُودِع إلا أن يصمم مضمونه بشكل مقْنع - من حيث الشكل والمحتوَى - ليكون قِبلة للزوار في موقعه.

لقد انتشر استخدام الإنترنت في العالم الإسلامي، وأصبح الوجود الإسلامي في الشبكة ملحوظاً، وله تأثيرات عميقة في الرأي العام العالمي، خاصة بعد أن توالى إنشاء المواقع الإسلامية التي تشرف عليها المنظمات الإسلامية أو تلك التي تشرف عليها الدول المسلمة أو السكان المسلمون .

برز بشكل ملحوظ دور المنظمات المدنية والمدوِّنين والمتطوعين وصحافة المواطنين من شباب العالم الإسلامي .

أما المسلمون في دول الغرب ؛ فقد بدؤوا يدركون ضرورة تنشيط حركتهم في تلك المجتمعات ؛ للدفاع عن أنفسهم كفئة مستهدفة، ولتصحيح الصورة الخاطئة عن الإسلام والمسلمين، بل والانتقال إلى مرحلة إيجابية، يقدمون فيها لتلك المجتمعات صورة حقيقية عن الثقافة والحضارة الإسلامية في شتّى مجالاتها وضروبها .

لقد أدرك المسلمون ضرورة الاستفادة من الفضاء الخارجي ، فأنشؤوا أنظمة الأقمار الصناعية : عربسات ونايلسات وراسكوم ، وهو قمر إفريقي تستفيد منه الدول العربية الأفريقية وبقية دول أفريقيا التي يمثل سكانها كتلة كبيرة مؤثرة في المجتمع الإسلامي والأفريقي.

فقد تجاوز عدد القنوات على هذه الأنظمة حوالي ٨٠٠ قناة عربية وغير عربية، وهنالك شبكات من الأقمار الصناعية تستخدمها الدول الآسيوية المسلمة - مثل باكستان وإندونيسيا وماليزيا وإيران وأفغانستان- وهذا يعني أن هنالك صحوةً تقنية إعلامية عمّت النطاق الإسلامي والشعوب المسلمة، وجعلتهم يتسابقون إلى الاستفادة منها ، باقتناء التقنية أو استخدام مخرجاتها ؛ بل أن بعض الدول الإسلامية - كماليزيا وإندونيسيا - تقدمت خطواتٍ محسوسةً في توطين هذا النوع من التقنية ، وبدأت في تطويرها وإنتاجها وتسويقها على النطاق العالمي.

الإعلام الجديد NEW MEDIA :

منذ أن حلّ هذا القرن، والعالم يواجه تغيرات سريعة ومتتالية بمعدل لم يسبق أن شهدته البشرية في تعاملها مع وسائل الإعلام والاتصال والمعلومات، الأمر الذي أصبح يمثل أنموذجاً خطيراً من عدم الاستقرار في الاقتصاد والاستخدام والصناعة والمنتجات الإعلامية ؛ سواءً في شكل عتاد HARD WARE أو برامج لتشغيل ذلك العتاد SOFT WARE فهي تتغير وتتبدل في وقت وجيز ، وأصبح المهتمون بهذه التقنية والمستخدمون لها والمستفيدون منها يلهثون وراء الجديد الذي ما أن يظهر ويمضي عليه أسبوع أو شهر إلاَّ ويصبح قديماً ينتظر الناس بعده جديد الجديد .

بل أن التقنية نفسها قد تتغير وتصبح في عداد وصيفاتها السابقات جزءاً من التاريخ، وتنتهي هي وما أنتجت من تراث ومعلومات في غياهب الزمن؛ كما حدث بالنسبة للتقنية التماثلية التي كانت سائدة حتى نهاية القرن المنصرم ، لتحل محلها التقنية الرقمية التي أحدثت تغييراً هائلاً في تقنية الإعلام والمعلومات والتواصل ، وألغت الكثير من المصطلحات والتطبيقات والاستخدامات ، وجاءت بالعديد من المصطلحات الجديدة ، وغيرت وعدلت كثيراً من تقنية وصناعة الأدوات والمعدات التي يستخدمها الإعلاميون والاتصاليون والعلماء في مجالات البحث العلمي ومراكز البحوث المختلفة ، وأصبحت كمية هائلة من العتاد خارج نطاق الاستعمال وفي مقابر الخُردة البالية التي لا يلتفت إليها أحد ومن حسن حظ المسلمين الذين التحقوا بركْب التحول الرقمي أخيراً؛ أنهم لم يكونوا مثقلين بعتاد التقنية التماثلية كثيراً، وذلك لأن إقبالهم على الاستفادة من تقنية الإعلام والاتصال جاء متأخراً، فأصبح التخلف والتأخر في هذه الحالة ميزة.

دور الحاسوب في تقنيات الإعلام:

الحاسوب هو اللاعب الخطير في التحولات التي حدثت في مجال تقنية الإعلام، وهو العنصر الأساس في تكوين الإنترنت. وشبكة الإنترنت هي الأم الرؤوم للإعلام الجديد الذي هو مجموعة من التطبيقات التي توفرها شبكة الإنترنت للإعلاميين ؛ كتقنية تساعدهم على تجاوز مرحلة الإعلام التقليدي إلى أفق جديد يستطيع معه الإعلاميون الجدد أن يوفروا خدمات ممتازة لمستخدمي الشبكة في مجال المعلومات والأخبار؛ عبر منافذ كثيرة وبأشكال متعددة.

وقد بدأت تسمية الشكل الجديد للإعلام، بالإعلام الجديد في مقابل القديم، ولكنه أصبح هدفاً لإطلاق مُسميات ومصطلحات جديدة، فالبعض يطلق عليه الإعلام الرقمي وآخرون يطلقون عليه الوسائط المتعددة لتعدد الأشكال المصاحبة لنفس الخطاب؛ صورة ، وصوت ، وڤيديو ، ونص ، ورسم بياني إلخ ... وهي كلها مسميات تنبئ عن الاهتمام بالمُسمى، وبشكل ووسيلة الخطاب الجديدة ، والتقنية المستخدمة لتوصيله للجهة المستهدفة.

وفي الوقت نفسه ترمز إلى عدم الاستقرار في التقنية التي تشهد كل يوم تطوراً جديداً .

العالم الإسلامي مطالب بالتركيز على التقنية الجديدة والإحاطة بها والاستفادة منها، خاصة ونحن شركاء في المجتمع الدولي وجزء منه، وليس من سبيل لعزلنا عنه أو الابتعاد بإرادتنا المنفردة عنه.

وما دام الأمر كذلك ؛ فلا مناص من أن نشارك في تطوير واستخدام

التقنية ، ومحاولة تطبيق ما توصل إليه الخبراء والعلماء في هذا المجال. وهنالك الكثير من المسلمين الذين يشاركون في هذه الأنشطة الدولية بفضل ما أتاحته لهم التقنية الحديثة من منافذ يطلّون من خلالها على ما يجري في العالم ؛ كاشتراكنا – كاتب هذه الورقة - وعدد آخر من الإخوة من مصر وباكستان والهند والسعودية ولبنان وإيران - في اجتماعات المنتدى الدولي السنوي لرؤساء التحرير في العالم الذي انعقد هذا العام في مدينة هامبورج بألمانيا، وسينعقد في أكتوبر من العام القادم في ڤينيا.

وقفنا في منتدى هذا العام على تطورات خطيرة في مسيرة الصحافة العالمية في أوروبا وأمريكا، حدثت بشكل سريع ومتصاعد قد لا نتأثر به في وقت متزامن مع تلك البلاد، ولكن بالتأكيد سيصلنا الموج في وقت لاحق .

وهناك بعض المسائل التي بدأت تأخذ مجراها بسرعة في مجال الصحافة المطبوعة التي بدأت بدورها في الانحسار وانخفاض كميات النسخ المطبوعة ، وبالتالي فقدت جزءاً كبيراً من عائدات الإعلان ؛ الأمر الذي سبب لها أزمات مالية حادة؛ أفْضت إلى اختفاء صحف تجاوز عمرُها مائة وخمسين عاماً ؛ فصحيفة مثل كريستيان ساينس مونيتر اضُطرت إلى إيقاف الصدور اليومي لها، واستعاضت عنه بعدد أسبوعي يوزع خَمسمِائة ألف نسخة، وذلك لمقابلة الالتزامات المالية التي واجهتها جرَّاء نمو الصحافة الإلكترونية على حساب الصحافة المطبوعة، واستحواذها على جزءٍ كبير من عائدات الإعلان لتفضيل المعلنين لها على الصحافة التقليدية.

إن التقنية الرقمية - وهي التي اعتمد عليها الإعلام الجديد من خلال منافذه المتعددة بل وهيأت له هذه المنافذ - قد حولت الرؤية التقليدية

للإعلام إلى رؤية جديدة ، تغيرت فيها المصطلحات ، وتعددت فيها التطبيقات ، وأدخلت إليها مجالات حديثة كوسائل إعلامية حديثة .

فقد كانت الرؤية التقليدية للإعلام تنحصر في أنه إعلام مطبوع يشمل الصورة الثابتة والمتحركة كالسينما، والصحيفة والكتاب أو الإعلام الإلكتروني الذي ينحصر في الراديو والتلفزيون، أما اليوم فقد انتقل الأمر برُمته إلى أفق جديد تغيرّ فيه مفهوم الصحافة ، فلم يعد قاصراً على الصحافة المطبوعة ؛ بل إن الصحافة بالمفهوم الجديد هي مهنة أو ممارسة تشمل الصحافة الإذاعية والصحافة على الخط والصحافة المطبوعة، وهي أقلها انتشاراً في الوقت الحاضر ، وفي سبيلها إلى الانحسار والاندثار، وربما بقيت في نطاق ضيق، ولفئة محدودة من القراء.

أما القادم الجديد من الصحافة فهو (الموبايل) الذي سيصبح واحداً من أكبر النوافذ التي يتلقي من خلالها الإنسان كل أو جُل ما يحتاج إليه من معلومات عن الأخبار والأحداث الجارية والخدمات الإعلامية الأخرى . وقد توقّع العاملون في مجال الإعلام بأن (الموبايل) سيطغي ويسود.

بدايات التحول إلى الموبايل :

أسفرت دراسات حديثة أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية ؛عن نتائج مبشرة لبعض الصحف التي اتجهت للاعتماد علي الموبايل في توصيل أخبارها إلى الجمهور.، وبِناءً على تقرير حول أنشطة الموبايل في شهر ديسمبر ٢٠٠٩ ؛ نشرته شركة بحوث الموبايل ؛ فإن ٥٥% من مستخدمي الموبايل في الولايات المتحدة الأمريكية يتلقون الأخبار، ويتابعون الأحداث الجارية عبر أجهزة الموبايل التي يحملونها ، وورد في بحث

مماثل أن فضائية CNN جاءت من المواقع العشرة التي تتصدر المواقع الالكترونية التي يتلقى مشاهدوها الأخبار ويتابعون الأحداث عبر الهاتف المتحرك ، واحتلت هذه الفضائية الموقع الرابع في الترتيب ، وجاءت صحيفة نيويورك تايمز في الموقع السابع بعد جوجل والفيس بوك، والياهو؛ التي تصدرت المواقع الثلاثة الأولى .

ولعل هذا يؤكد دور الوسيط القادم الذي سيحتل مكانة مرموقة ومتقدمة بل ومنافسة للصحافة الإذاعية وصحافة الإنترنت والصحافة المطبوعة، فالموبايل هو القادم الجديد .

على المسلمين الذين يعملون في محيط الإعلام ، أن يتنبهوا ويركزوا على الإعلام الجديد، وألا تنحصر أنشطتهم ومجتهداتهم في الإعلام التقليدي ، وأن يتابعوا التطورات التي تحدث في هذا المجال تحسَّباً من الخروج من حَلبة السباق ، والانطلاق والتعامل في نطاق ضيق من التقنية الإعلامية القديمة ؛ التي لا تتيح لهم الوصول إلى الجماهير التي يهدفون الوصول إليها في العالم الجديد ، بل حتى في عالمهم الإسلامي الذي شرع بعض منه التحوَّل في الاتجاه نحو التقنية الحديثة .

أفكار جديدة :

هناك بعض الأفكار والإبداعات التي يطرحها سادة الإعلام الرقمي أو الإعلام الجديد، وهي نوع من التكنيك وإدارة المؤسسات الإعلامية وابتكار وسائل جديدة للتلقي ؛ تتَّسم بصِغر الحجم واتساع المجال والقدرة على الحركة ؛ بالإضافة إلى دعم الوسائل الاجتماعية المتمثلة في الـ FACE BOOK TWITTERS و الـ UTUBE وغيرها من المواقع

الاجتماعية التي تتيح للمستخدمين فرصة التفاعل الفوري مع مصادر الأخبار والمعلومات .

(أ)هناك مجموعة الحواسيب الصغيرة والمتحركة والمرتبطة لاسلكياً بقواعد المعلومات مثل IPHONE , IPAD وغيرها ، توفر خدمات هائلة قد تصل سعة بعضها إلى ٣٢ جيجا بايت [١] .

وقد أطلق على هذه المجموعة اسم (تابليت) لصِغر حجمها، وخفة وزنها، ووضوح المواد التي تُعرض على شاشتها؛ نصوصاً كانت أم صوراً أم رسومات بيانية .

(ب) هناك اتجاهات لتوحيد غرف الأخبار حيث درجت أجهزة الإعلام التقليدية على أن تنشئ كلٌّ واحدة منها غرفة للأخبار خاصة بها؛ ففي الراديو غرفة للأخبار، وكذلك في التلفزيون وفي الصحيفة أيضاً، وهكذا .

ولكن الإعلام الجديد ابتكر تصميماً جديداً لغرفة الأخبار سماها غرفة الأخبار المتكاملة، وهي عبارة عن خَلِيَّة ضخمة من المخبرين والمحررين ورؤساء التحرير ورؤساء الأقسام لكل وسيلة ، تتلقي هذه الغرفة المتكاملة الأخبار من مصادرها المختلفة، ثم تعيد تحريرها وصياغتها بما يناسب الوسيلة المعنية، وذلك بعد أن يتم اختيار الخبر المناسب للوسيلة المعنية، ثم تتجه الأخبار منها صعوداً إلى الفضائيات ومنها إلى الراديو وإلى التلفزيون وإلى الموقع الإلكتروني في الإنترنت ثم إلى الموبايل، وهو

(١) CLAUDEE ERBSEN AND OTHERS
INNOVATIONS IN NEWS PAPERS 2010 WORLD REPORT
TREND IN NEWS ROOMS- WEF.HAMBURG 2010-P4

القطاع الجديد الذي أصبح شريكاً نشطاً في نشر الأخبار ونقل الأحداث . وهذه التقنية الجديدة لغرف الأخبار المتكاملة هي ما استقر عليه الأمر في العالم الأول وبدأ تطبيقها بالفعل .

(ج) الاتجاه إلى تغيير وظيفة ومهمة الصحفي بعد إعادة صياغته وتدريبه وإعداده ليتماشى مع التطور الجديد ؛ فبناء القدرات أمر يجب أن يحتل مرتبة متقدمة في النظام التقني الجديد للصحافة ووسائل الإعلام . وستتغير بالتالي مهنة الصحافة وتبعاً لذلك مسمى الصحافة والصحفي الذي يتعامل مع الوسائط المتعددة ليكون MULTIMEDIA JOURNALIST أي صحفي شامل متعدد القدرات ؛ فهو يلتقط الصورة الثابتة والمتحركة، ويسجل الأصوات، ويُجري عملية الإنتاج قبل بث الخبر إلى غرفة الأخبار متكاملاً، ويجب أن يكون الصحفي قادراً على إجراء الحوار والمقابلات وتلخيص ما يدور في اللقاءات والمؤتمرات قبل بثه عبر الـ S N G أو شبكة الحواسيب؛ إلى غرفة الأخبار المركزية ، لينطلق منها إلى أجهزة المتلقي المختلفة.

(د) بدأت الوسائط العملاقة GADGETS مثل جوجل GOOGLE و ياهو YAHOO والصحف العملاقة مثل الواشنطن بوست ، ونيوزيوك تايمز؛ في دراسة وتقويم مخزونها (المحتوى) وكيفية استغلالها اقتصادياً ؛ ليدر عليها دخلاً يضاف إلى حصيلتها من الاستخدام العادي أو الاطلاع على الصحف .

إذن فبهذه الصحف وغيرها من الوسائل، مخزون ضخم من الأرشيف الرقمي ، يحتوي على معلومات قيمة وهامة ، والتفكير الآن يدور حول تصنيف المحتوى إلى نوعين : أحدهما يتاح لمن يدفع ، والآخر يتاح بدون مقابل ، وقد دار جدل كثيف حول النوع الأول وتحديده.

والاتجاه السائد الآن هو أن يقتصر أمر الأرشيف والوثائق المباعة على ذلك الصنف النادر الذي يتعذر الحصول عليه في مواقع أخرى .

وقد حاولتُ جاهداً عندما كنتُ في المنتدَى العالمي لرؤساء تحرير الصحف الأخير في هامبورج ؛ أن أنبّه إلى ضرورة أن يوضع اعتبار خاص للدول النامية والفقيرة، وأن تحدد لها فئة تفضيلية في حالة استخدامها لذلك المحتوى .

ويبدو أن مَن أدار الندوة في ذلك اللقاء لم يستوعب أن ما يستطيع الأوروبي أو الأمريكي أن يدفعه مقابل حصوله على المضمون لا يقدر عليه أغلب سكان هذا العالم .

تلك بعض الاتجاهات والأفكار التي تدور في خَلدَ العاملين في حقل الإعلام الدولي، والذين يتعاملون مع تقنياته الحديثة، والتي يجب أن يكون المسلمون جزءاً منها، وليس فصيلاً متفرجاً على ما يحدث أو متلقياً لما يرسل ويبث، أو مستهلكاً لما ينتج من عتاد وبرامج ومعلومات وأنظمة .

إن من ميزات العولمة أن الأبواب أصبحت مفتوحة ، وكذلك السماوات وشبكات المعلومات والتواصل، وهي ميزات يمكن أن تُوظف لمصلحة المسلمين في التواصل بينهم ومع العالم الخارجي، وتمكينهم من المشاركة الفعالة والنشطة بدلاً من القعود والفرجة وانتظار ما يجود به الآخرون .

أرجو أن يصدر عن هذا المؤتمر ما يؤكد هذا الاتجاه ، ويدعو إلى المزيد من الجهد للاستفادة من التقنية الإعلامية الجديدة في طرح قضايا الإسلام والمسلمين .

المعركة الإعلامية غير متكافئة :

نحن المسلمين في معركة إعلامية غير متكافئة، ونتعرض لتدفق إعلامي غير متوازن مع العالم الأول أو الغرب بمعنى أدق .

إن الديموجرافيا تقر بأننا مليار وسبعمائة مليون مسلم، وأن الغرب أو الغريم لا يتجاوز سكانه على أحسن الفروض ثمانمائة مليون نسمة، ومع ذلك فهم يتميزون عنا بالاتحاد والقوة الاقتصادية والتقنية والعسكرية والسيطرة المبكرة على وسائل البث والاتصال، وباستحواذهم على أكثر من ٩٠% من الطيف الكهرومغناطيسي، في وقت كان معظمنا يرزح تحت نير الاستعمار.

ولم يتركوا لنا إلا مجالاً محدوداً في الترددات والمدارات، بالإضافة إلى أنهم يتمتعون بالقدرة على الإنتاج للغناء والبرامج، وتصديرهما إلينا باعتبارنا سوقاً يضمن لهم الربح الوفير، فضلاً عن إتاحتنا لهم عبر عرض ما يصلنا من الأخبار والبرامج ، فرصة التأثير المباشر على شعوبنا من خلال الأخبار المشوهة ، والمعلومات المضللة غير الدقيقة حول الأحداث السياسية ومجريات الأحداث في العالم ، وهذا ما يفتح الباب للتأثير الثقافي على شعوبنا ، وبخاصة الأجيال الشابة التي يغريها الجديد ـ أي جديد ـ دون أن يتأملوا فيما يحمل هذا الجديد من أضرار وانتهاك للقيم الفاضلة التي ورثناها ، وظللنا نتمتع بها عبر القرون منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم.

إن البكاء والشكاية والعويل لم تعد مجدية ، فإلى من نشتكي عنَت الليالي ؟ إلى العباس أم عبد الحميد؟

إذن لا بد من أن نخطو خطوات عملية وإيجابية لمواجهة تلك الموجات المتتالية عبر وسائل الإعلام الغربية ؛ التي جعلت من الإسلام والمسلمين هدفها الأول والعدو البديل للعدو الذي سقط وانهار، وهو الاتحاد السوفيتي فقد أصبحنا أعداء بعد أن كنا أصدقاء لهم في الماضي .. وهكذا تتحول الأمور وتتغير المصالح.

هل من نظام إعلامي إسلامي جديد؟

هناك بعض الخطوات التي يمكن أن نتخذها لمعالجة هذا الموقف غير المتوازن ، وتساعد على بناء نظام إعلامي إسلامي جديد يقوم على الصدق والشفافية والحقيقة والدقة والتوازن، ويعتمد على منشآت ومؤسسات إسلامية تضمن له الاستقلال والحرية والاستمرار والاعتماد على النفس والتعاون مع الغير من منطلق الندية والحرص على سلامة هذا الكون .

وفيما يلي بعض المقترحات التي قد تحقق هذه السياسات الجديدة للإعلام الإسلامي في ظل عوامل تقنية إعلامية فاعلة للإعلام الإسلامي وهي:

أولاً: في المضمون والبرامج الناعمة

التركيز على زيادة المضمون المرئي والمسموع من حيث الكم والنوع:

* إنتاج الأفلام الروائية التي تقدم أنموذجاً حقيقياً للحياة في المجتمع المسلم، على أن تتناول الجانب التاريخي للحضارة والثقافة في المجتمع الإسلامي، وأن تترجم إلى اللغات الحية بالدوبلاج أو بقاء الصوت الأصلي مصحوباً بالترجمة على الشريط.

* الإكثار من إنتاج الأفلام التسجيلية التي تتناول مدخلات الحضارة والثقافة الإسلامية، وتركز على الآثار والمخطوطات والوثائق والإسهام العلمي للمسلمين في الطب والهندسة والفلك والرياضيات ... إلخ.

* التركيز بصفة خاصة على الآداب والفنون بأنماطها المختلفة كالتشكيل والموسيقي والفنون التراثية والشعبية والأزياء والعادات والتقاليد وغيرها من أنشطة المجتمعات الإسلامية التي يجهلها الغرب.

* حصر وجمع حصيلة ما في المكتبات ودور الوثائق والأرشيف ونقله وتحويله إلى أرشيف رقمي وإيداعه في سياق الشبكات والمكتبات والمواقع الإلكترونية والافتراضية وجعلها متاحة لكل من يريد الاطلاع عليها على نطاق العالم مع الاهتمام بترجمة بعض الوثائق كالمخطوطات والكتب.

* في عام ٢٠٠٥م عرضت دارسات وإحصاءات في قمة المعلومات بتونس تضمنت معلومة تفيد أن في العالم حوالي ٢٠٠ مليون ساعة من المواد الإذاعية المسموعة والمرئية في حاجة إلى أن تتحول إلى أرشيف رقمي.

ولا شك أن العالم الإسلامي يشكل جزءاً مهماً في القطاع الإذاعي العالمي، وهو معني بهذا النوع من الجهود الفنية للاحتفاظ بتراثه الإذاعي وجعله متاحاً لكل من يريد.

أرجو أن يتولى الإذاعيون المسلمون القيام بهذه المهمة وأن يجدوا التمويل اللازم لإنجازها.

٢) التدريب ورفع القدرات:

التطور الذي يشهده العالم في التقنية الإعلامية لا بد أن يسانده تطور في القوى الإعلامية التي تستطيع استيعاب التقنية وتطبيقها في الممارسة اليومية وفي الوسائط المتعددة ، وهذا يقتضي:

(أ)التدريب وإعادة التدريب واستمرار التدريب في المؤسسات التي يعمل فيها الصحفيون في العالم الإسلامي التي تضيف إلى إمكاناتها باستمرار أجهزة ومعدات جديدة ينبغي أن يكون شرطاً لشرائها تدريب العاملين عليها من الصحفيين.

(ب)إنشاء مراكز ومعاهد وأكاديميات التدريب التي يجب أن تركز على الجانب العملي والتطبيقي وتساير التقدم التقني الذي يطرأ باستمرار على وسائل الإعلام والاتصال.

(ج) إعادة النظر في مناهج كليات الإعلام وأقسام الدراسات الإعلامية في العالم الإسلامي التي برهن كثير منها على أنها عاجزة عن تخريج الصحفي الذي يستطيع التعامل مع ما ينتجه في العالم اليوم من مخرجات تقنية إعلامية ؛ بل إن كثيراً من أساتذة الجامعات والمدربين يجهلون واقع التطور التقني في الإعلام الجديد .. فهي كليات ومعاهد نظرية وتدور في فلك المدارس القديمة للإعلام، ولا توفر المعامل والمعدات التي يحتاج إليها الطالب لتطبيق ما يتلقى من نظريات، فالإعلام الجديد يقوم على التطبيق والتعامل مع الوسائل المستخدمة والمستجدة كل يوم.

توطين التقنية الإعلامية:

ينبغي أن يشهد العالم الإسلامي تغيراً واضحاً في السياسات الإعلامية يفضي إلى التفكير الجاد في نبذ سياسة الاعتماد على الغير في إنتاج مدخلات التقنية الإعلامية، والاتجاه نحو الاعتماد على النفس بمعني أن لا يكون مستورداً للمنتجات الإعلامية والاتصالية، وسوقاً رائجة ومربحة للمنتج الغربي، بل عليه أن يكون منتجاً – على الأقل – لاحتياجاته ومصدراً للفائض منها إلى الأسواق الأخرى – وفي سبيل تحقيق ذلك ينبغي عليه :

(أ)أن يسعى لتوطين التقنية الإعلامية باستقطاب العلماء المسلمين وكثير منهم في الغرب ـ وتوفير مناخ وبيئة البحث العلمي في الجامعات والمعاهد التقنية ومراكز البحث والشركات الكبرى.

(ب)أن يقيم المصانع التي تستطيع إنتاج أدوات ووسائل التقنية الإعلامية؛ تنفيذاً أو تطبيقاً لما يقترحه العلماء المسلمون أو بالشراكة مع المستثمرين الأجانب من الدول المتقدمة أو بتفويض من الشركات العالمية المشهورة مثل Nokin, Bell وغيرها .

(ج) أن يسعى حثيثاً لإنشاء مؤسسات للصناعة الإعلامية الثقيلة كالأقمار الصناعية والصواريخ ومركبات ومنصات للإطلاق، بالإضافة إلى معدات البث والشبكات الأرضية والكوابل المحورية والألياف الضوئية.

(د) أن يشجع الاستثمار الوطني والأجنبي في قطاع تقنية الإعلام بحيث تتحقق الفائدة المرجوة للمستثمر ثم للبلد المعني الذي يضمن بالتالي توفير احتياجاته في مجال التقنية الإعلامية وبالمواصفات والشروط التي تناسبه.

(هـ) أن تعمل على توفير احتياجات المجتمع الإعلامي من المعدات والآلات كأجهزة الاستقبال للراديو والتلفزيون والحاسوب والهاتف المحمول وغيرها ، وذلك في محاولة لسد الفجوة الرقمية التي ظلت تفصل بينه وبين العالم المتطور، وهو هدف استراتيجي ينبغي أن يسعى العالم الثالث ـ ومن بينه المسلمون ـ إلى انجازه في الحقبة الثالثة من هذا القرن.

محاذير وتوقعات:

العالم الإسلامي اليوم جزء أساسي ونشط وفعال في هذا العالم، ويتمتع بقدر كبير من التأثير الثقافي والسياسي والاقتصادي، على الرغم من المشاكل التي يواجهها على كل الجبهات، جزءاً من العالم الثالث الذي يواجه في المقابل قوة طاغية جبارة أمسكت بزمام الأمور وشرعت في تضييق الخناق على كل من يجرؤ على الوقوف في مواجهتها سياسياً أو

اقتصاديا أو ثقافياً، وهي قوة جبارة لن تتردد في استخدام كل الأسلحة المتاحة لها، وتستطيع أن توجهها إلى من تريد القضاء عليه في لحظة، والعالم الإسلامي من أكثر الأهداف المرشحة للأزمات الدولية القادمة، وعليه فإن علينا أن نحذر من الآتي:

(١) الهجوم الإلكتروني والاعتداء إلكترونياً على كل من يقف في وجه تلك القوى وتدمير منشآته المعلوماتية والاستراتيجية، ومن بينها وسائل الإعلام وهو سلاح ذو حدين لا يسلم منه أحد حتى من يبدأ بالعدوان.

(٢) التحكم في وسائل الاتصال الحاملة والرابطة بين العالم الإسلامي وبقية أنحاء العالم عن طريق البث الفضائي، فقد يأتي اليوم الذي يمنع النظام الفضائي الدولي والإقليمي بث قناة بعينها لمجرد أن مضمون ما تبثه يتعارض وسياسات تلك الدول، وهو أمر يقع تحت طائلة انتهاك المبادئ الدولية والحقوق الأساسية للإنسان التي لم تعد ذات قيمة في ظل النظام الإعلامي الجديد والقوة الأحادية الحاكمة للعالم.

(٣) لذلك فإن التمسك بحق العالم الإسلامي في الفضاء الخارجي وحصول دوله على نصيبها من المدارات، وتركيزها على صناعة الأقمار الصناعية والصواريخ التي تحملها إلى الفضاء الخارجي، أمر يجب أن يتصدر أوليات واهتمامات العالم الإسلامي.

خاتمة :

العالم الإسلامي يملك من الإمكانات البشرية والمادية والعالمية ما يجعله في موقف أفضل مما هو عليه الآن، وخاصة في مجال التقنية الإعلامية.

فقط عليه أن يعيد حساباته، ويراجع سياساته الاتصالية والإعلامية، ويجعلها في مقدمة أولوياته الإستراتيجية، والله المستعان.